المملكة العربيّة السعوديّة
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة
كلّيّة اللُّغة العربيّة
قسم الأدب

ملخص رسالة مقدمة لنيل درجة (الماجستير) في الأدب العربيّ

بعنوان

ظاهرة حديث الشـــعر عن الشـــعر
من العصر الجاهليّ حتى العصر الأُمويّ

دراسة أدبيّة

إعداد الطالب:
عبد العزيز بن عبد الله الخراشيّ

إشراف :
أ.د. محمد بن حسن الزير
أستاذ الأدب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

العام الجامعيّ:

1426هـ - 1427هـ

ملخص الرسالة

الحمد لله الذي بيده العون والتيسير، والصلاة والسلام على النبي المنير، وعلى آله وصحبه ذوي العقل البصير. وبعد:

فقد تعدّدت بيئات النقد الأدبيّ الأصيل عند العرب تبعاً لاختلاف الأذواق، وتباين الاهتمامات؛ فوُجِدت بيئة الرواة، واللغويّين، والنقاد، والأدباء؛ مما أثرى واقع النقد الأدبيّ في ذلك الحين، والدراسات الحديثة التي عُنيت بتاريخ النقد الأدبيّ عند العرب.

وتعدّ بيئة الأدباء من أقرب البيئات النقدية إلى روح العمل الأدبيّ، وبخاصة الشعراء منهم الذين جرّبوا لحظة الإبداع الشعريّ، وأحسّوا بمعاناها؛ لذا حفِلت كتب تاريخ النقد الأدبيّ بما أُثِر عنهم نثراً من أحكام نقديّة تجاه الشعر، أو حكومات نقديّة جرت بين الشعراء غير أنّ ما جاء شعراً لم يحظَ بمثل تلك العناية.

من هنا بزغ موضوع هذا البحث:

ظاهرة حديث الشعر عن الشعر من العصر الجاهليّ حتى العصر الأُمويّ: دراسة أدبيّة ليُعنى برصد آراء الشعراء تجاه الشعر وقضاياه ممّا جاء في ثنايا أشعارهم في تلك الحقبة، ودراستها دراسةً أدبيّة من حيث إدراك تصوّرهم الحقيقيّ عن الشعر وقضاياه، ومعرفة قدر وعيهم الفنّيّ، ومرادهم من ذلك، والوقوف على هذه الممارسة الشعريّة التي حوت ذلك التصوّر، وقدّمته.

ولذلك فإن هذا البحث يجيب على سؤال علميّ مفاده: هل كان لشعراء تلك الحقبة رؤية فنّيّة عن الشعر من خلال أشعارهم؟.

وقد اقتضت الإجابة بالإيجاب إيضاحَ تلك الرؤية الفنية؛ لذا سيكون هذا البحث إجابة عن أسئلة ثلاثة فرعيّة تؤكد الإجابة على السؤال السابق، وهي: ماذا تناول الشعراء من قضايا...؟، ولماذا...؟، وكيف...؟.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب يمكن إجمالها حسب الآتي:

- خدمة تلاد هذه الأمة الأدبيّ الذي ما زال ثرّاً معرفيّاً يفتقر إلى دارسين ينقبون فيه.
- ما تعنيه هذه الدراسة من محاولة الكشف عن مصدر آخر لرؤى الشعراء الفنية تجاه الشعر يُكمل ما أُثِر عنهم نثراً؛ مما أكَبّت غالب الدراسات النقديّة عليه.
- غزارة المادّة المكوّنة لهذا الموضوع حيث بلغ ما اعتمدت عليه من شواهد الظاهرة في تلك الحقبة (1469) بيتٍ تعود إلى (151) شاعرٍ؛ مما يزيد حصيلة النصوص النقديّة التي أُثِرت في تلك الحقبة، ويثريها معرفيّاً.
- ما تسعى هذه الدراسة إليه من محاولة تأصيلِ بواكير النقد الأدبيّ عند العرب حيث إنّ الشاعر يجيء في مقدمة من أسهموا في نقد الشعر إبّان تلك الحقبة.
- كما أنّ دراسة هذا الموضوع تفتح منافذَ وأبواباً للدارسين تتيح الوصول إلى أحكام أدبيّة جديدة.

ويضاف إلى ما تقدّم من أسباب افتقار هذه الظاهرة إلى دراسة علميّة موسّعة حيث إن ثّمة دراساتٍ لامست بعض جوانب هذه الظاهرة، وأخرى شقّت المهاد إلى دراستها، وثالثة لم تأتِ بما توحي عنواناها به؛ مما جرى تفصيله في مقدمة الرسالة.

وقد أخذ الباحث على نفسه – ما أمكن – استقراء أوثق مصادر المادّة الشعريّة بحثاً عن الشاهد، ثم ضبطه بالشكل، وبيان بحره الشعريّ، وإيضاح ما فيه من غريب، والتعريف بما قد يرد فيه من أماكن، أو قبائل، أو أعلام مع تقييد تاريخ وفاة صاحب الشاهد، أو الإشارة إلى عصره إن جُهِلَت سنة وفاته لما في ذلك من خدمة الظاهرة من حيث بيان مسيرها وتطورها انتشاراً، أو انحساراً.

اقتضت طبيعة هذا البحث التأصيل العلميّ للظاهرة قبل الشروع في تناولها، وتحليلها؛ لذا جاء **التمهيد عن جذور الظاهرة في المصادر الأدبية** مشيراً قبل ذلك إلى ما فيه إدلالٌ على أحقّيّة الشعراء في نقد الشعر، وبيان آرائهم عنه، وقد شُخِّصت جذور الظاهرة في المصادر الأدبيّة من خلال **دلالة العنوان** الذي سَلَك المؤلف تحته شواهد الظاهرة، **وطريقة التناول، وعدد الأبيات، وأبرز الرؤى الفنية** التي تحويها الشواهد؛ مما يكشف التفاتة النقاد إلى الظاهرة، وحفاوتهم بها من جهة، ويبرز الاعتراف الحقيقيّ بأهليّة نقد الشعراءِ الشعرَ في أشعارهم من جهة أخرى؛مما أمدّ هذا البحث بروح الأصالة ليمضي في دراسة هذه الظاهرة.

فكان **الفصل الأوّل**: **(الآفاق الموضوعيّة)** ليبدي رؤى الشعراء الفنّيّة عن الشعر وملابساته من حيث ماهيّته، وما يمسّ لحظة إبداعه من بواعث، أو موضوعات يطرقها الشاعر، وما يلي ذلك من تنقيح، أو ما يتّصل به من مهمّة يؤدّيها، ثم ذُيِّل الفصل ببيان موقف بعض الشعراء من نَظْمِه من حيث تركه، أو الإمساك عن بعض موضوعاته.

وجاء **الفصل الثاني**: **(الغايات الفنّيّة)** ليبرز ما تغيّاه الشعراء من هذه الظاهرة حيث أبانوا عن مواقفهم تجاه قضايا فنّيّة تمسُّ جوهر الشعر، وقيمه الجماليّة؛ فتطرّقوا إلى كون الشعر إلهاماً، والتنصُّل من انتحال الأشعار، والتسامي بالشاعريّة، وتمييز الجيّد من الرديء، وخلود الشعر، ثم ذُيِّل الفصل بمفاضلتهم بين الشعر والنثر، أو بين القصيد والرجز، وكذلك بين القصيدة والمقطوعة.

أما **الفصل الثالث**: **(خصائص الظاهرة الفنّيّة)**؛ فقد هدف إلى تحليل هذه الممارسة الشعريّة التي قدّمت تلك القيم المعرفيّة تحليلاً قائماً على أساس الكشف عن الكيفيّة التي حملت تلك الرؤى الفنّيّة، والوسائل التي أسهمت في تقديمها، وما أمدّه التشكيل الجماليّ من قدرة على إيصالها، أو تقريبها للجمهور؛ ممّا جعل هذه الممارسة الشعريّة تتحلّى بخصائص يمكن ردّها إلى المعاني والفِكَر، أو المعجم اللغويّ، أو الصور الفنّيّة.

ويمكن الاقتراب أكثر من مساحة الظاهرة في ديوان الشعر العربيّ إبّان تلك الحقبة من خلال الجدول الآتي الذي يُظهر قدر النصوص الإبداعية ومبدعيها؛ ممّا أُجرِيت هذه الدراسة عليه:

العصر الأدبيّ	عدد الشعراء	النسبة	عدد الأبيات	النسبة
الجاهليّ	49	32.45 %	244	16.60 %
الخضرمة	23	15.23 %	85	5.78 %
صدر الإسلام	12	7.94 %	137	9.32 %
الأُمويّ	67	44.37 %	1003	68.27 %

وقد تمثّل حصاد هذا البحث في النتائج المجملة الآتية:

1-ما سجّلته هذه الظاهرة من حضور في بعض المصادر الأدبيّة؛ مما يعدّ تأصيلاً لها، واحتفاءً بقيمتها الفنّيّة، وضرورة استحضارها في المشهد النقديّ؛ لتُشَكِّل مع نظائرها من نظرات البيئات النقديّة الأخرى نظريّة نقديّة متكاملة البيئات عن الشعر.

2-تَشَكُّل ماهيّة الشعر من عدّة مكوّنات نفسيّة، وعقليّة، وفنّيّة؛ فهو نتاج عمليّة باطنيّة متراكمة تنشأ من انفعال عاطفيّ، أو شعور وجدانيّ، يكون للعقل حضورٌ في صوغه من خلال قيامه بدور التوجيه لحالة توارد المعاني وانثيالها في الذهن، وتشكّلها في بناء فنّيّ يتّسم بالجمال، وقوّة التأثير، ويُظهر ما يتمتّع صاحبه به من موهبة وطبع.

3- أن للشعر بواعث تحفز على قوله؛ منها ما يعود إلى خارج الذات، بحيث يشكّل مثيراً خارجيّاً يستدعي استجابة من الذات تكون تلك الاستجابة بمترلة الموقف لكوامن الإبداع، وتتمثّل تلك البواعث الخارجيّة في (المكان، والزمان، وداعيي: المدح والهجاء، والمجتمع، والغناء)، ومنها ما يعود إلى داخل الذات من دوافع كامنة في وجدان الشاعر، ومحفّزة للنبع الشعريّ، وتتمثّل في (التنفيس، والتعويض، والتذكّر والهموم، والحبس والسجن، وتفرّج الهموم، ودواعي بعض الموضوعات الشعريّة)، والفرق بين نوعي البواعث أن الأوّل يتّسم بالظهور، وغير المباشرة في تحريك كوامن الإبداع؛ أمّا الآخر فيتّسم بالخفاء والمباشرة.

4- وضوح الرؤية لدى الشعراء من حيث تصوّرهم أبعاد الموضوع الشعريّ، فقد أدركوا ما تنطوي عليه الموضوعات الآتية: (المدح، والهجاء، والفخر، والرثاء) من معانٍ، ومـــا تتّسم به من سمات، وما تحقّقه من غايات.

5- كَشْف الشعراءِ عن أكثر مراحل الإبداع الشعريّ صعوبةً، وأشدّها غموضاً وتعقيداً من خلال ما قدّموه في قضية (تنقيح الشعر) حيث أبان البحث قبل ذلك ثلاث مسائل تتّصل بالقضيّة هي: موقفهم من البديهة والارتجال، وموقفهم من الطبع، والفرق بين التداعيات الذهنيّة الأوّليّة والتنقيح؛ ليسهل الوصول إلى معنى التنقيح، وعوامله المختلفة، وأبرز مظاهره، والغايات منه.

6- إيمان ثلّة من الشعراء بغائيّة الشعر، وأنّه ينهض بأداء مهمّة سعى الشاعر إلى تحقيقها، وقد تعدّدت هذا المهمة ما بين فنّيّة، أو نفسيّة، أو اجتماعيّة، أو خلقيّة، أو تكسّب.

7- ظهور بعض الشعراء الذين نادوا بترك الشعر كلّيّاً، أو الإمساك عن بعض موضوعاته لدواعٍ متعدّدة: دينيّة، وخلقيّة، وفنّيّة، واجتماعيّة.

8- تسليط الضوء على فكرة كون الشعر إلهاماً من حيث رواجها في الأدب العالميّ، وحجمها في ديوان الشعر العربيّ، وتطوّر تصوّر الشعراء لها من أسطورة في العصر الجاهليّ إلى تقليد فنّيّ فيما بعد، أضيف إليه ملامح جديدة بفعل الدين الإسلاميّ، وما وراء الفكرة من دواعٍ، وما تتشكل فيه من مظاهر، وما تحقّقه من مقاصد نفسيّة وفنّيّة، ثم ذُيِّل ذلك بتفسير نفسيّ لها.

9- تجذّرُ الأصالة في وعي الشعراء الفنّيّ؛ لذا تنصَّلوا من انتحال الأشعار من خلال مظاهر ثلاثة هي: تتريه الذات الشاعرة من الانتحال، وادّعاء بكارة المعاني وغزارتها، ورشْق الشعراء المناوئين بتهمة الانتحال؛ مما ولّد ثلاثة مواقف للشعراء هي: موقف التجرّد والدفاع، وموقف التحصين والبناء، وموقف القوّة والهجوم إضافة إلى ما كان من إلماح فنّيّ يمسُّ قضيّة الانتحال.

10- رَسْمُ الشعراء أبعاد التسامي بالشـــاعريّة من خلال تعظيم الذات الشـــاعرة، أو الفخر بالمنجَز الشعريّ، أو التقويم الآنيّ للموهبة الشعريّة، أو النظرة المستقبليّة للمستوى الفنّيّ ؛ مما يعني جمعهم بين الوصف والتقويم.

11- امتلاك الشعراء روحاً نقديّةً تمثّلت في قدرتهم على تمييز الجيّد من الرديء؛ ممّا أظهر وعيهم النقديّ للشعر، والذي اتّخذ ثلاث دوائر تتفاوت عمقاً؛ فكانت الدائرة الأولى في الأحكام الجمالية المتعلّقة بدائرة الإبداع الشعريّ:المُرسِل، والرسالة الشعريّة، والمُرسَل إليه؛

أما الثانية فهي في الأحكام النقديّة على التجارب الشعريّة، والثالثة في التقويم العام للحركة الشعريّة؛ ممّا يُظهر معرفة الشعراء الأصول الجماليّة للشعر، وقدرهم على تقويمها.

12- حفاوة الشعراء بخلود الشعر، وإبانتهم عن عوامله التي تجيء في مقدّمتها السيرورة، وهي: (التمثّل بالشعر، والتقييد الكتابيّ، والجمال الفنّيّ، والصدى الاجتماعيّ).

13- إلماحهم إلى مترلة الشعر في صناعة الأدب، وتفاوت أنماطه الفنّيّة من حيث المفاضلة بينه وبين النثر، أو بين القصيد والرجز، أو بين القصيدة والمقطوعة.

14- تحليل هذه الممارسة الشعريّة التي حملت تلك القيم المعرفيّة لإدراك الكيفيّة التي قدّمت تلك القيم المعرفيّة، والوسائل الفنّيّة التي أسهمت في ذلك وصولاً إلى ما يميز هذه الممارسة الشعريّة من خصائص فنّيّة تمثّلت في ثلاث خصائص كُبْرى هي: المعاني والفِكَر، والمعجم اللغويّ، والصورة الفنّيّة.

15- الوصول إلى ما تتّسم به أُولى خصائص الظاهرة الفنّيّة حيث تتجلّى سماهَا في المعادل الموضوعيّ، واستدعاء الشخصيّات، واستلهام الحوادث، وأثر الروح الإسلاميّة؛ مما يُفصح عن قدرة التفاعل الذهنيّ والفنّيّ التي يتمتّع الشاعر بها حيث إنــه استمدّ المعادل الموضوعيّ لاستبصار ما في داخله من رؤى فنّيّة، كما أنّه وظّف إرثه الثقافيّ والفنّيّ عبر استدعاء الشخصيّات، واستلهام الحوادث ليحمّله طاقاتٍ معرفيّةً، ورؤًى نقديّةً، مثلما أنه تمكّن من صياغة رؤيته الفنّيّة للشعر من خلال تَمَثُّلِه قيم الدين الإسلاميّ.

16- التنقيب عن موادّ المعجم اللغويّ للظاهرة من حيث مصطلحاهَا الفنّيّة، أو دوالّها التي وردت في ثنايا شواهد الظاهرة، وإحصاؤها، والتي تركّزت في المحاور الآتية: الغرض الشعريّ، وأجزاء البناء الفنّيّ، والقيم الفنّيّة للنص الشعريّ، والقيم النقديّة للنصّ الشعريّ، وأوصاف الشعراء، ثم إتباع كل محور منها بالنتائج والتحليل.

17- تناول الصورة الفنّيّة من حيث قدرهَا على تمثيل رؤى الشعراء الفنّيّة عن الشعر وقضاياه، وتقريبها للجمهور، والتي اتّخذت طوابع متعددة ما بين طابع حقيقيّ مجرّد، وطابع أسطوريّ، وطابع اجتماعيّ، وطابع أدبيّ، وطابع ثقافيّ؛ ممّا أظهر براعة الشعراء في توظيف الخيال الشعريّ توظيفاً معرفيّاً قادراً على تَمَثُّل ما لديهم من رؤى، واستيعاب ما يكنّون من فِكَر.

أبان البحث حجم هذه الظاهرة في ديوان الشعر العربيّ إبّان تلك الحقبة، ووعي شعرائها الفنّيّ الذي أفرز معطياتٍ معرفيّةً لا يمكن إغفالها في تأصيل حركة نقد الشعر عند العرب؛ لأنّها تمثّل نظرة الشعراء النقديّة للشعر الغائبةَ بعض الشيء عن صفحات النقد الأدبيّ الأصيل؛ مما يستلزم استحضارها حين تناولِ بيئة الشعراء النقديّة.

كما أنّ هذه الظاهرة بما تحمله من رؤى وفِكَر تمدُّ التصوّر النقديّ عن حركة نقد الشعر إبّان تلك الحقبة بثراء معرفيّ يُوجب إعادة النظر فيما شاع من أحكام وَسَمَتْ نقد تلك الفترة بالانطباعيّة، والمباشَرة، والسطحيّة، والفطريّة إضافة إلى القلّة.

إنّ دراسةَ البحثِ هذه الظاهرةَ لا يعني الوفاء بها، وإحاطتَه بجوانبها بقدر ما يعنيه من التزامه بما اختُطَّ لها؛ لأنّ ثمة جوانبَ أخرى ما زالت تغري الباحثين بالدراسة والبحث سواء ما كان منها في هذه الحقبة، أو ما تلاها من عصور أدبيّة حيث يمكن دراسة الشعراء الذين زخرت الظاهرة في أشعارهم دراسةً أساسها تقويم نتاج الشاعر بحسب رؤيته الفنية لإدراك مدى التزام الشاعر بما يُنَظِّر؛ كما أن المجال متاح، والباب مشرع لكثيرٍ من الباحثين كي ينهضوا باستكناه الظاهرة في ديوان الشعر العربيّ؛ ممّا وَلِي تلك الحقبة.

وبعد فإنّ الفضل يذكر لذويه فيشكر؛ لذا أهتبل هذه الفرصة لأشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة ممثّلة بكلّيّة اللُّغة العربيّة بالرّياض، وأخصّ قسم الأدب على إتاحة فرصة إكمال دراستي العليا، ومواصلة الطريق في البحث العلميّ.

والشكر موصول للجنة المناقشة على تفضلها بقراءة هذه الرسالة، واستدراك ما فاتها من قيم معرقية، وإبداء ملحوظاتها على البحث والباحث؛ مما يعد إثـراءً للبحـث، وتوجيهـاً للباحث.

وأتوّج هذا الشكر بعد شكر الله – تعالى – بأن أسوق من الثناء أصدقه، ومن الـدعاء أخلصه إلى **أستاذي الأستاذ الدكتور: محمد بن حسن الزير** – رعاه الله –؛ فقد لقيت فيه علماً، ونصحاً، وتوجيهاً مع حلم واسع، وتواضعٍ جمٍّ، يجلّله الحزم والجدّ، فنهلت منه أدب النفس قبل الدرس؛ فجزاه الله عنّي أوفى الجزاء وأتمّه.

وختاماً أسأل الله أن يجزي كل من مَدّ لي يد العون في إعداد هذا البحث خير الجــزاء، وأن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.